

الدلالة التعبيرية للرسوم والنقوش خلال عصور ما قبل التاريخ في الشرق القديم

الأستاذ الدكتور

أحمد أمين سليم

أستاذ تاريخ وحضارة مصر والشرق الأدنى القديم

رئيس قسم التاريخ والآثار المصرية والإسلامية

بكلية الآداب. جامعة الإسكندرية

Bibliotheca Alexandrina

مكتبة الإسكندرية

صفحة مصريات

الدلالة التعبيرية للرسوم والنقوش خلال عصور ما قبل التاريخ في الشرق القديم

☥𓉴 عبر الإنسان خلال العصور الحجرية وما قبل الأسرات، وقبل معرفته للكتابة عن جوانب حياته وخصائص حضارته بالرسوم والنقوش التي قام بعملها على أسطح الصخور والأواني الحجرية والفخارية والرسوم الجدارية، وكانت هذه الرسوم بمثابة التعبير الذي أراد أن يسجل به الإنسان مظاهر حياته المتعددة وأحوال بيئته وما تحويها، ونشاطه الاقتصادي، وأفكاره ومعتقداته وأيضاً أحواله السياسية ومعاركه وحروبه.

ويمكننا من خلال تتبع هذه الرسوم والنقوش أن نكون فكرة واضحة عن النشاط الإنساني خلال مرحلة مرحلة العصور الحجرية، وهي المرحلة التي لم يكن الإنسان قد توصل فيها إلى معرفة الكتابة والتدوين ومن ثم تسجيل أحداثه وأفكاره ومعتقداته ومظاهر حياته في مجالاتها العديدة.

ولقد حاول الإنسان منذ بداية تمكنه من الرسم والنقش على الأسطح الحجرية والطينية والفخارية وغيرها من الأدوات تصوير طبيعة الحياة المحيطة به من حيوانات وطيور وأشجار ومظاهر طبيعية من مياه وما تحويها من أسماك وحيوانات بحرية أو جبال وتلال وغيرها، كما حاول تسجيل الأحداث البارزة التي مرت به وأثرت في حياته، وكذلك الأفكار والمعتقدات التي آمن بها، والظواهر الطبيعية والكونية الموجودة في البيئة المحيطة به والتي كان لها تأثير مباشر على حياته.

وكان الفن من أولى الوسائل التي عبر بها الإنسان عن نفسه منذ بداية إنتاجه الحضاري، وحاول بواسطته التعبير عما يجول في عقله وما يحيط به

ويمر به من أحداث، وعما يتمناه ويود تحقيقه، ومن هنا تكتسب النقوش الأولى التي خططها الإنسان في أشكال بسيطة أهميتها، حيث يمكن عن طريقها تتبع حياة الإنسان وما أحاط بها خلال هذه الأزمنة البعيدة قبل معرفة الكتابة والتدوين.

وتعددت دوافع الإنسان التي وجهته لمحاولة التعبير بالرسم والنقش، ويمكن تتبع هذه الدوافع من خلال رسومه المبكرة والتي كان محورها الرئيسي والأساسي "الرسوم الحيوانية" حيث يمكن القول بأن رسمه للحيوانات بكثرة ناتج عن عدة عوامل رئيسية، يأتي في مقدمتها، طبيعة حياة الإنسان خلال هذه العصور المبكرة والتي كانت تمثل الحيوانات الموجودة في بيئته بأنواعها المختلفة عبئًا نفسيًّا شديدًا عليه، سواءً لخوفه منها على حياته، أو لرغبته في الاستفادة منها في حاجياته الغذائية، وعدم تمكنه من السيطرة عليها وإخضاعها لإرادته، وإدراكه المباشر من خلال تعامله معها إلى الفروق الكبيرة والهائلة بين قوتها وضعفه وشراستها وعنفها بالنسبة إليه، ومن ثم فقد لجأ إلى الفن ليعبر عن طريقه وبواسطته عما يجول في خبايا نفسه من رغبة في السيطرة على الحيوانات والانتفاع بها، حتى ولو كان ذلك من خلال رسم أو نقش يقوم به، قد يجعله يشعر بالقوة، مما قد يدفعه إلى الإقدام على صيده دون إحساس بالخوف.

وربما كان تصوير الحيوانات بشكل كبير راجع إلى رغبة الإنسان في معرفة خصالها ومواطن الضعف فيها حتى يسهل صيدها، وكذلك تحديد الأدوات التي يمكن استخدامها للإيقاع بها وصيدها، كما قد يكون الدافع من وراء رسمه للحيوانات هو تعريف الأجيال من الأبناء والحفدة بطبيعتها حتى يحذروا منها، مثلما حذر هو منها، أو ليستفيدوا منها مثلما أفاد.

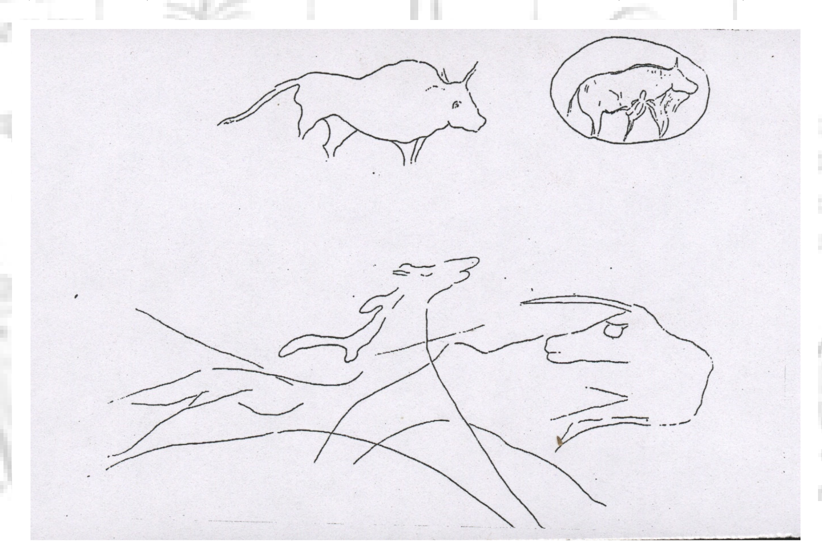
وفي هذا المجال، فإننا لا يمكننا أن نغفل الجانب الفني المحض من هذه الرسوم، حيث حاول من يقومون بها إبراز قدراتهم وملكاتهم الفنية في نقل الأفكار والتصورات المتصلة بهذه الرسوم، وكذلك توزيع مفردات المنظر

المتعددة، وعلاقة هذه المفردات ببعضها، حتى تصبح الصورة المرسومة معبــرة عن الغرض من رسمها، ويتضح ذلك من التفاني والدقــة والاهتمــام بــالنقوش والرسوم والإبداع في إخراج صور وأشكال جميلة بألوانها الزاهيــة أو الداكنــة والتي تدل علي شعور إنساني راق وإحساس مرهف.

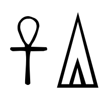
ولم يكن الفنان حرًا في اختيار شكل التصوير الذي يريده، بل كان عليــه اتباع أسلوب معين في التصوير يتصل بجوهر حضارته وأفكارهــا، وأدى ذلــك بطبيعة الحال إلى تنوع واختلاف النماذج الفنية، مما يشير إلى أنها مــن صــنع مجموعات سكانية مختلفة وغير متجانسة من الناحية الحضارية.

وتعددت موضوعات الرسوم والنقوش خلال العصور الحجرية ومــا قبــل الأسرات، وتأتي الرسوم الحيوانية في المقدمة، وذلك نظــرًا لمــا شــغلته مــن مساحات كبيرة في الفكر الإنساني ظهر أثرها التعبيري بشكل مكثف في التعبيــر الفني للإنسان.

ومن أقدم الرسوم الصخرية التي أمكن العثور عليها، نقوش صخرية عثر عليها في كهف في منطقة أنطاليا على الشاطئ الجنوبي لتركيا (شكل 1)

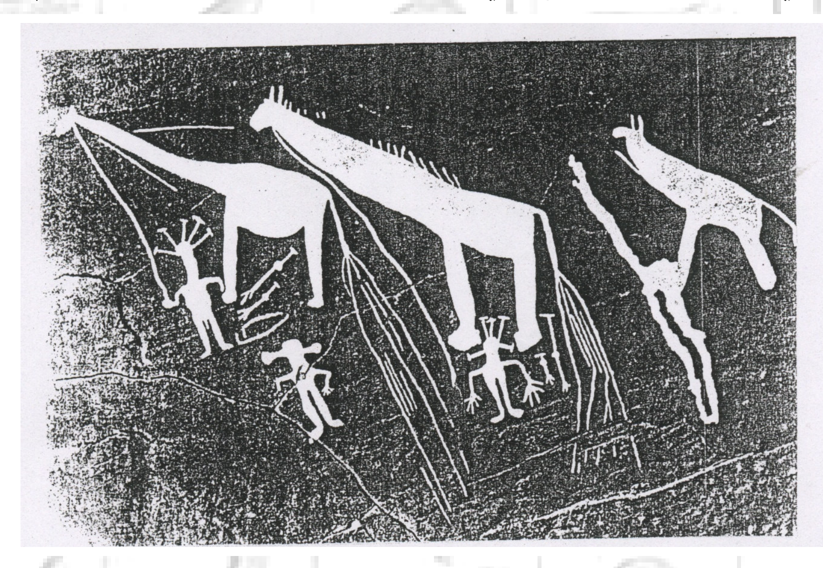


(شكل 1) نقش صخري في منطقة أنطاليا



يرجع هذا النقش إلى العصر الحجري القديم الأعلى، وهو يوضح بشكل كبير ما ذهبنا إليه من أن الإنسان هنا قد رسم حيوانًا حرًّا طليقًا، بينما صور حيوانين آخرين وهما يقعان في الشراك، أما الحيوان الرابع، فقد رسمه وهو محصور ومحبوس داخل سور، مما قد يوضح ما يريده الإنسان، وما يشير إليه عقله الباطن من تمنيه من التمكن من السيطرة عليه والتحكم فيه.

ومن أقدم الرسوم الحيوانية التي أمكن معرفتها في مصر، رسم صخري عثر عليه في صعيد مصر يرجع إلي نهاية الألف الخامس قبل الميلاد (شكل 2).



(شكل 2) نقش صخري من مصر (الألف الخامس من قبل الميلاد)

وفي هذا النقش صور الفنان أربعة حيوانات برية وثلاثة رجال، وقد تمكن رجلان من السيطرة على حيوانين، بينما يحاول الحيوانان الآخران الانطلاق بعيداً، ويلاحظ هنا أن الفنان قد بالغ في رسم الحيوانين بالنسبة للإنسان الذي ظهر ضئيل الحجم، ولقد استطالت رقاب الحيوانات وذيولها بشكل كبير، ورسمت الأشكال البشرية بشكل بسيط، وإن تعمد الفنان إظهار بعض التفاصيل مثل أصابع اليد، ووضع فوق الرأس علامات مميزة، وربما كانت ريشاً، ويشير هذا المنظر

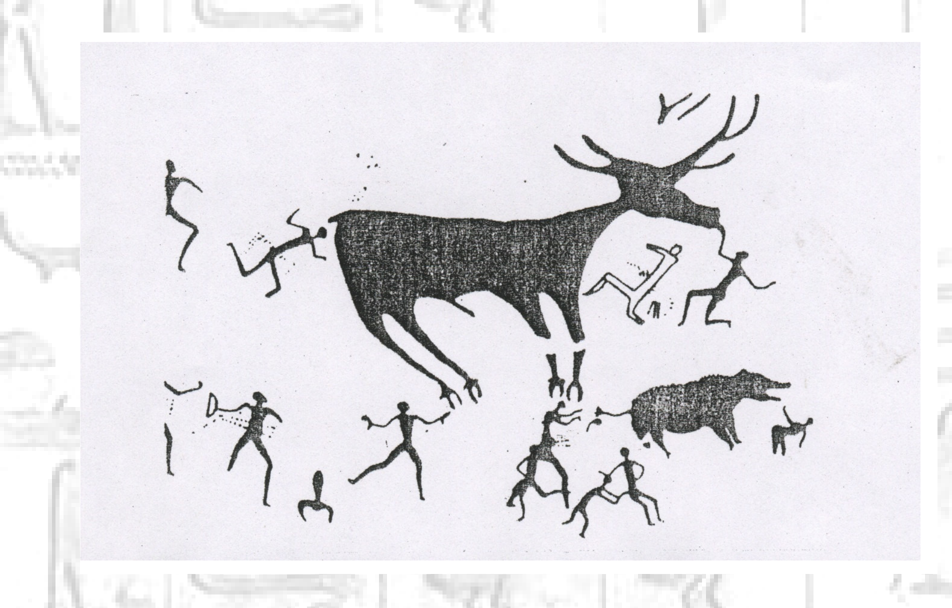
بشكل تلقائي الى تفوق الحيوان بالنسبة للإنسان واعترافه بذلك، كما يشير إلى ما يتمناه ويتشوق إليه، وهو محاولة السيطره عليه، وقد تمكن الفنان من التعبير عن كل هذه الأفكار بشكل بسيط.

وكانت هذه الحالة الذهنية هي المسيطرة أيضا على الإنسان في آسيا الصغرى، حيث أوضحت المناظر الجدارية المرسومة على ما أطلق عليه "معبد الصيد" وهو يوجد في سهل قونية جنوب الأناضول والذي يؤرخ بحوالي **5800** قبل الميلاد. (شكل 3) منظر ثور ضخم رسم بحجمه الطبيعي. بينما يتقافز فوقه شخص رسم بحجم ضئيل للغاية، ويوجد أمامه وخلفه وعلى جانبيه عشرات الأشخاص الذين يمسكون في أيديهم بعصا ورماح وهم في أوضاع حركة شديدة، بينما ظهرت أيضا بعض الحيوانات الأخرى التي يحاولون صيدها والسيطرة عليها، ولقد رسمت الحيوانات والأجزاء التفصيلية بألوان معدنية، بينما استخدمت مواد طبيعية عضوية لرسم الأشكال البشرية، ويلاحظ أن الفنان قد تجنب تغطية صورة إنسان بصورة انسان آخر، ومما يثير الانتباه في هذا المنظر، أن الثور يقف في هدوء شديد وحوله هذا الحشد من الصيادين الذين يتحركون جميعًا حوله وفي اتجاهه، مما دعا البعض إلى الاعتقاد بأن هذا المنظر يمثل طقوس عبادة الصيد، وهي طقوس الهدف منها تمكين الإنسان من السيطرة على الحيوانات والتحكم فيها، حيث كان الثور في هذه المنطقة يقدم ذبيحة في طقوس العبادة.



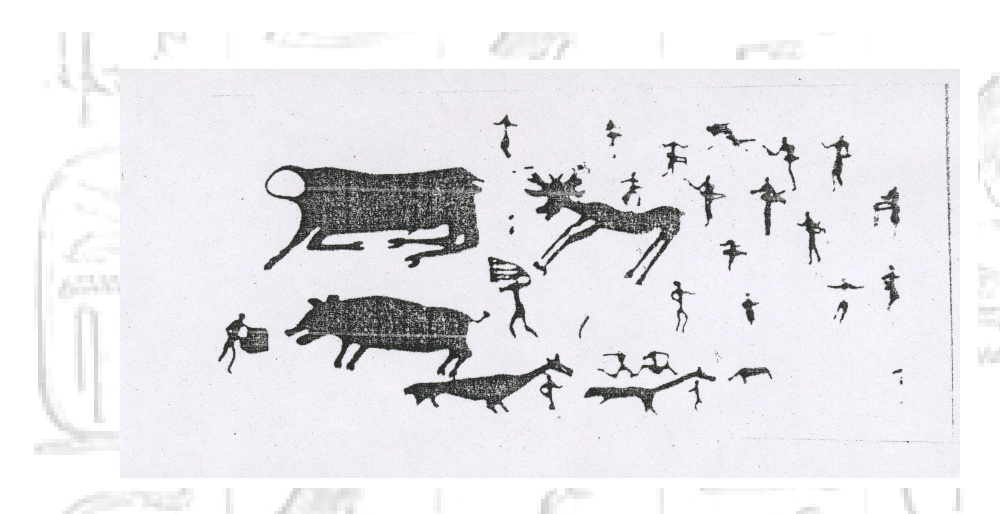
(شكل3) منظر ثور ضخم من آسيا الصغرى

ورسم الفنانون على جدران هذا المعبد العديد من المناظر التـــي تصــور صيد العديد من الحيوانات، ومنها (شكل 4) الذي يمثل عملية صــيد غــزال لــه قرون طويلة.



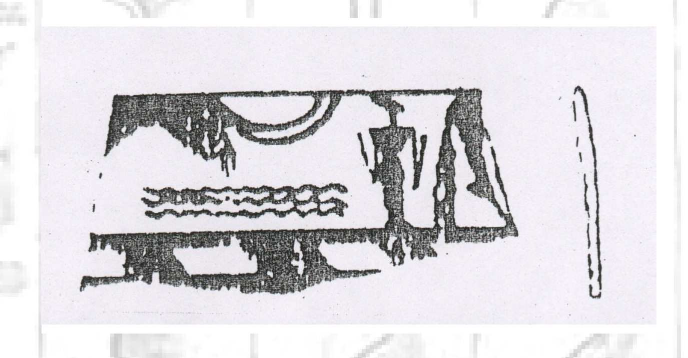
(شكل 4) صيد غزال

و(شكل 5) الذي يمثل صيد الخنازير والحمير الوحشية، وهنـــاك كـــذلك، بعض المناظر التي تمثل صيد بعض الدببة.



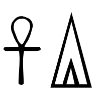
(شكل 5) صيد الخازير والحمير الوحشية

ومن إيران، عبَّر الإنسان عن نفس هذه الأفكار برسم فخاري يرجع إلـــى مرحلة سيالك الثالثة، وذلك عند نهاية الألف الرابع قبل الميلاد(شكل 6)، حيـــث قام برسم رجل بحجم ضئيل وقد ظهر أمامه ذيل حيوان ضخم، وخلفه ثـــور لـــه قرنان طويلان ويهم بالشرب من قناة ماء أمامه.

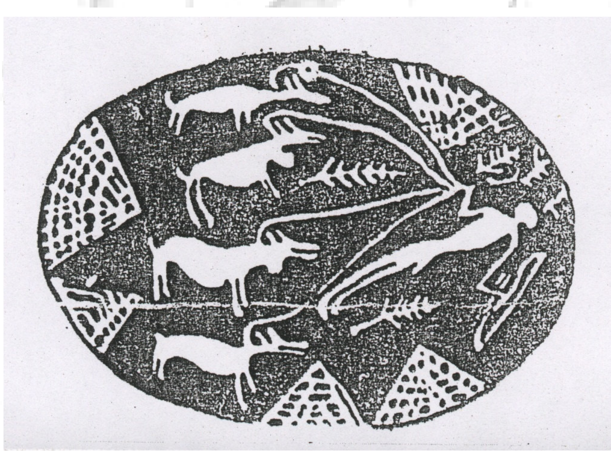


(شكل 6) رسم فخاري من إيران

وعندما أخذ التفوق الإنساني يتنامى ويزداد، انعكس ذلك بطبيعـــة الحـــال على الفن، فمن عصر حضارة نقاده الأولى في مصـــر (حـــوالي عـــام 4000 –



3600 ق.م) ظهر رسم على طبق من الفخار (شكل 7)، صور عليه صياد يمسك بيده اليسرى قوس، وهو يقود أربعة كلاب مربوطة بحبال بمسكها بيده اليمنـــى، ويستدل من مفردات هذا المنظرعلى أن الفنان أراد أن يعبر عن طبيعة المنطقـــة التي يتم فيها الصيد، فهي منطقة صحراوية تحيط بها التلال التي صورها علـــى جوانب المنظر، وتوجد بعض الشجيرات القليلة متفاوتة الارتفاع حول الصـــياد، ويلاحظ في هذا المنظر أن الفنان قد رسم الصياد بحجم أكبـــر مـــن الحيوانـــات والتلال والأشجار، مما يشير إلى زيادة وعي الإنسان بقدراته وإمكانياته بالنسبة لما يحيط به، ومحاولته إبراز تفوقه البشري بشكل مبالغ فيه، وهو الأمر الـــذي تفاداه بعد ذلك، حيث عبرت المناظر التي ترجع إلى عهد نقادة الثانية (3600 – 3300 ق.م) إلى نوع من التوازن في التعبير الفني، حيث ظهر على آنية فخارية ترجع إلى هذه المرحلة منظر لقطيع من الماعز يقوده راعٍ في منطقة صـــخرية يوجد بها العديد من التلال، وقد صور الإنسان بحجم يتفق وحجم الماعز الـــذي أمامه (شكل 8).

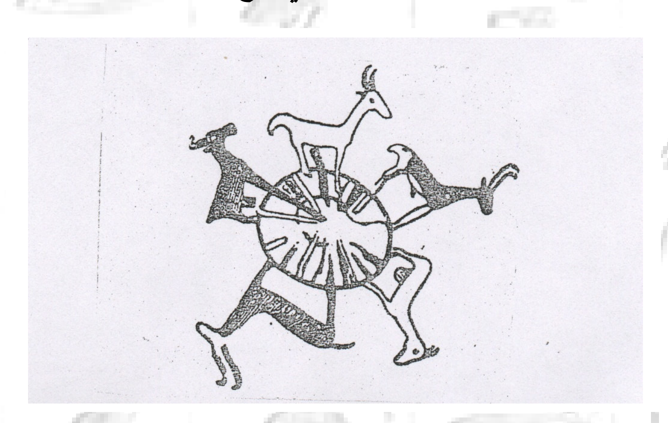


(شكل 7) رسم آنية فخارية من نقادة الأولى



(شكل 8) رسم آنية فخارية من نقادة الثانية

ومن بين المناظر المصورة على جدران المقبرة رقم 100 في نخن (الكوم الأحمر) منظر خمسة ظباء وقد سقطت في فخ نصب لها.



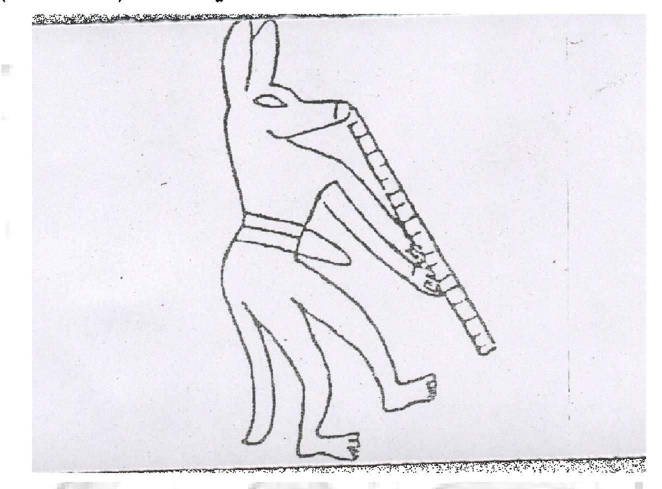
(شكل 9) منظر لظباء في فخ (المقبرة 100 في نخن)

وأوضحت طبعات الأختام التي عثر عليها في إيران محاولة سيطرة الإنسان على الحيوان وتمكنه من ذلك، حيث ظهرت الأشكال الإنسانية بشكل أكبر نسبيًّا من الأشكال الحيوانية، فعلي طبعة ختم من تبة جيان (حوالي عام3000ق.م) (شكل 10) ظهر ثلاثة رجال وقد أحاط اثنان منهم بحيوان بواسطة أدوات قتال في أيديهم، بينما اتجه الثالث الناحية الأخرى، ويلاحظ في الأشكال الإنسانية أن الرأس قد مثلت على هيئة رؤوس الطيور، بينما كان فوق الرؤوس ما يشبه القرون، وربما كان ذلك قناعًا ارتداه هؤلاء الأشخاص حتى يتمكنوا من صيد فريستهم.



(شكل 10) طبعة ختم من جيان

وظهر ما يشبه ذلك في مصر، حيث ارتدى أحد الصيادين في إحدى اللوحات قناعًا لابن آوى وقد أمسك بقيثارة في يديه (شكل 11)



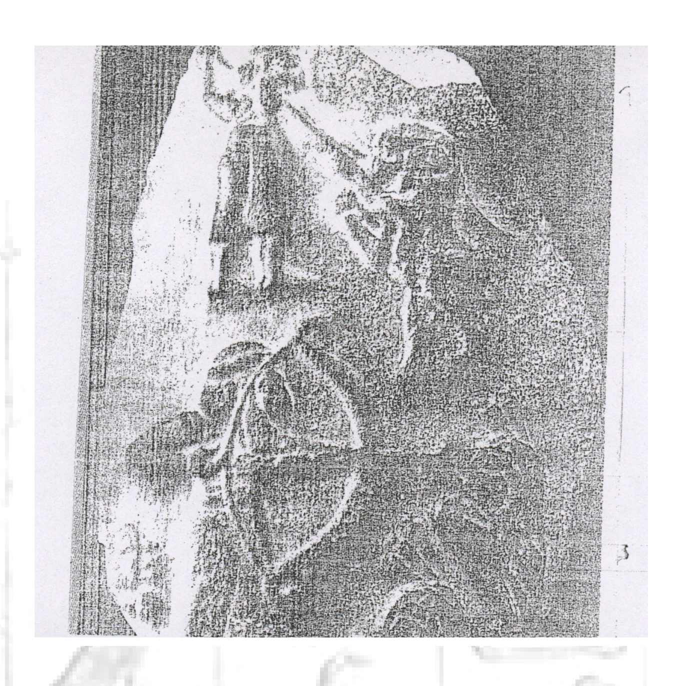
(شكل 11) منظر تفصيلي لشخص يرتدي قناع ابن آوى

وعندما ازداد التفوق الإنساني، وأصبح الإنسان يمتلك من الأدوات والفكر ما يمكنه من التغلب على الحيوانات، ظهر ذلك في الإنتاج الفني، ففي اللوحة التي يطلق عليها لوحة "صيد الأسود"، والتي توجد حاليًّا في المتحف البريطاني (شكل 12) يظهر على وجهها صور للصيادين في صفين، وهم يرتدون نقبًا يتدلى منها ذيول ثيران وعلى رؤوسهم شعر مستعار مثبت فيه ريشتان، وفي أيديهم ألوية وحراب وأقواس وسهام ودبابيس قتال وعصي رماية، ويوجد في الوسط حيوانات تفر هاربه، ويوجد في الطرف الأسفل أسد اخترقته السهام، بينما يوجد في الطرف العلوي أسد يهجم على أحد الأشخاص وقد اخترقت السهام رأسه، ويوجد في أعلى المنظر تخطيط لهيكل معبد ربما يكون معبد مدينة "به" (ابطو مركز دسوق محافظة كفر الشيخ).



(شكل 12) لوحة صيد الأسود

وعبر الفنان في العراق القديم عن تحكمه في الحيوان وصيده للأسود، وظهر ذلك في نقوش المسلة التي تعرف باسم "مسلة صيد الأسود" وهي ترجع إلى أوائل الألف الثالث قبل الميلاد (شكل 13)، وقد نُحت عليها منظران فوق بعضهما. ظهر في كل منظر رجل يقوم بصيد أسد، ويوضح المنظر تمكن كل من الرجلين من أداء عملهما بثبات وجرأة ورباطه جأش.



شكل (13) مسلة صيد الأسود

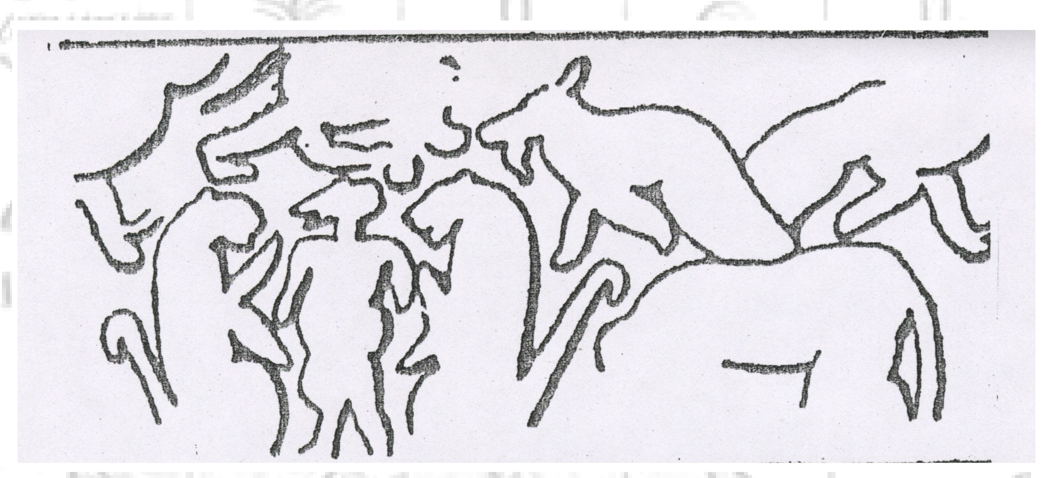
وانتقل الفن بعد ذلك إلى مرحلة أخرى من التعبير عن تطور قوة الإنسان وتمكنه، وظهر ذلك في رسومه التي أوضحته وهو يقوم بالفصل بين أسدين، وذلك في العديد من مناطق الشرق القديم، ففي مصر أوضحت نقوش سكين جبل العركي التي عثر عليها بالقرب من نجع حمادى على أحد وجهيها (شكل 14) شيخاً كبيرًا ملتحيًا يشبه هيئة الساميين والعراقيين القدماء، وهو يرتدي رداءً كثيفاً يمتد من وسطه حتى منتصف ساقيه ويلبس عمامه فوق رأسه، ويفصل بيديه بين أسدين ناهضين عظيمين أو يحاول إخضاعهما لسطوته، وصور أسفله بيئة صيد كبيرة تضمنت حيوانات برية مثل اللبوءة والوعل والغزال والثور الوحشي وحيوانات أخرى أليفه مثل الكلب، ولقد رأى البعض في هذا الرجل أنه تأثير عراقي استوحاه الفنان المصري من أثر عراقي وصل إليه عن طريق التجارة وقلده على مقبض سكينه، بينما رأى آخرون، أن هذا الشيخ الملتح يمثل إلهًا للرعاة وحاميًا لقطعانهم بعد أن استأنس الأسود الضارية وأخضعها لسلطانه، واعتبر الكلاب المصورة في المنظر كلابه الأمينة على قطعانه، أما بقية المنظر فهي تعبر عن بيئة الصحراء بما يعيش فيها من أكلة اللحوم وأكلة العشب، كما أنها تعبر عن عالم الصيادين والرعاة.



(شكل 14) سكين جبل العركي

وكان الفصل بين الأسود والعديد من الحيوانات من سمات الفن العراقـــي القديم، حيث ظهر ذلك كثيرًا في نقوشهم، وبخاصة طبعات الأختام التى ترجع إلى بداية العصور التاريخية.

ويلاحظ وجود هذه السمة من الفن أيضًا في إيران، حيث عثر على انطباع ختم طيني يرجع إلى حضارة سوسة الأولى وقد صور عليه رجل يقوم بالفصـــل بين أسدين وقد ظهر حوله العديد من الحيوانات الأخرى (شكل 15).



(شكل 15) انطباع ختم طيني من حضارة سوسة الأولى

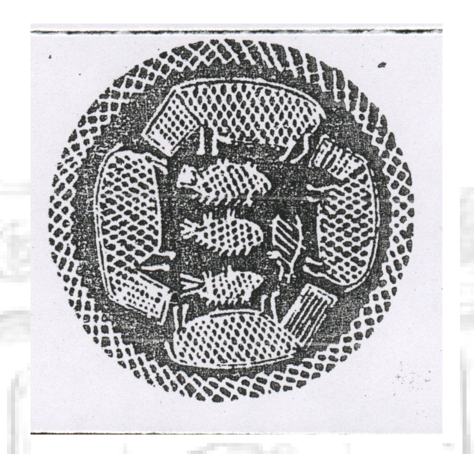
أما الفن من أجل الفن، فلقد ظهرت العديد من النماذج لـــه فـــي منطقـــة الشرق القديم، ويظهر فيه مدى تفوق الفنان الزخرفي، ومحاولته ملء المســطح الذي يقوم بالرسم عليه، ومع أن الغرض من هذه الرسوم كان فنيا محضًـــا، إلا أنها في الوقت ذاته تساعد الباحثين في العصور الحجرية وما قبل الأسرات على معرفة العديد من مظاهر البيئة الطبيعية التي رسمت فيها هذه المناظر، وكــذلك طبيعة الحيوانات الموجودة، وبعض مظاهر التفكير الــديني، وكــذلك السياســي والاقتصادي والاجتماعي.

وصور الفنان في مصر بعض أنواع الحيوانات المائيـــة علـــى صـــحاف الأواني، فمن عصر حضارة نقاده الأولى وصلنا منظر مصور عليه أفراس نهـــر وسط المياه (شكل 16) ويلاحظ هنا أن العلامة الت عبر بها الفنان عن الميـــاه، أصبحت بعد ذلك في العصور التاريخية علامة تصويرية تشير إلى المياه وكانـــت تنطق "مو"، كما صور على إناء آخر أربعة أفراس نهر حول أربعة سمكات.



(شكل 16) أفراس نهر على صحاف (نقادة الأولى)

وذلك أيضاً من مصر حضارة نقاده الأولى (شكل 17)



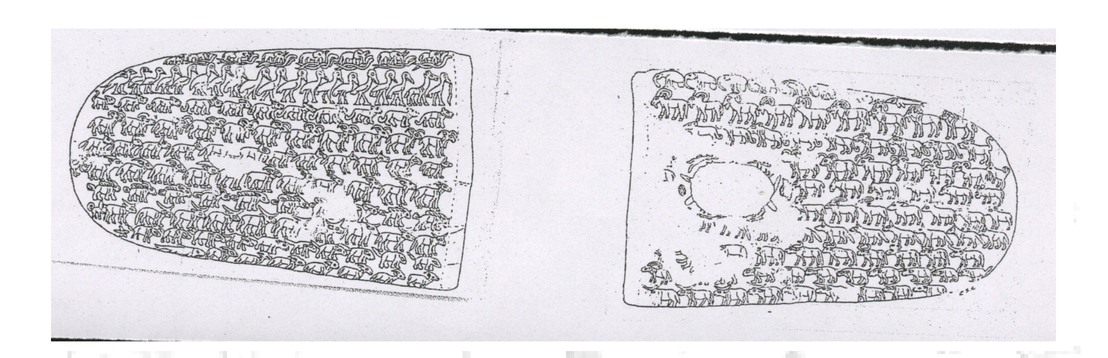
(شكل 17) إناء من نقادة الأولى وعليه صور لأسماك وفرس النهر.

ورسم على آنية فخارية ترجع إلى عصر حضارة نقادة الثانية عملية صيد التماسيح من مياه النيل، حيث ظهر بعضها وقد أمسكت الخطاطيف بهـا، بينمـا البعض الآخر ما زال ينتظر قدره، بينما مثلت منظر المياه فـي جانـب الإنـاء، وخلفه صف من التماسيح ظهرت رؤوسها (شكل 18)



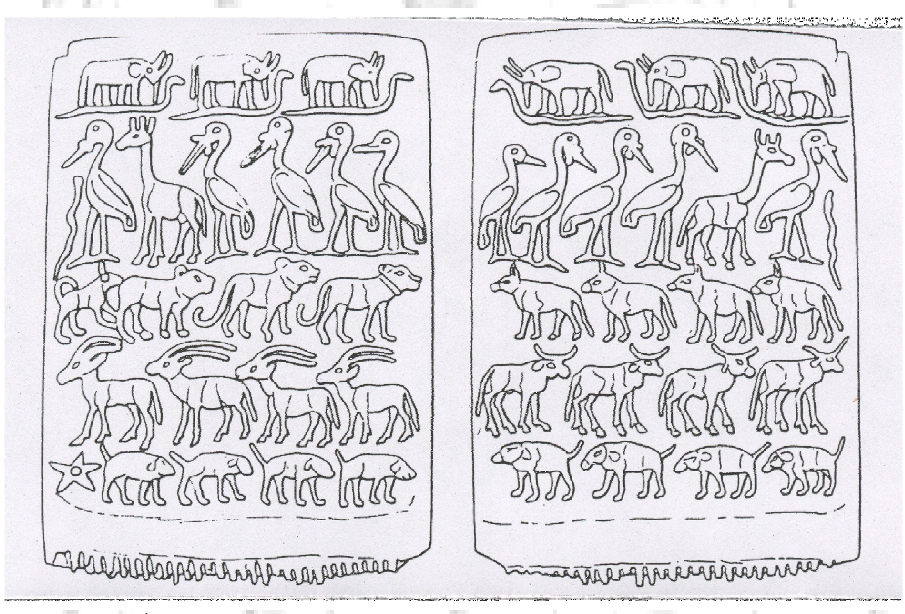
(شكل 18) آنية من نقاده الثانية عليها صور التماسيح

وصور الفنان بعض أنواع الحيوانات الموجودة في البيئة المصرية وذلـك على المنحوتات العاجية والعظمية والاردوازية، ومنها يد سكين مصـنوع مـن العاج يرجع إلى عصر حضارة نقادة الثانية، وقد مثلت عليه صفوف متتالية من الحيوانات يمثل كل صف منها أحد أنواع الحيوانات والطيور (شكل 19)، وظهـر ذلك أيضاً على العديد من المنحوتات العاجية



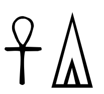
(شكل 19) يد سكين من العاج (حضارة نقادة الثانية)

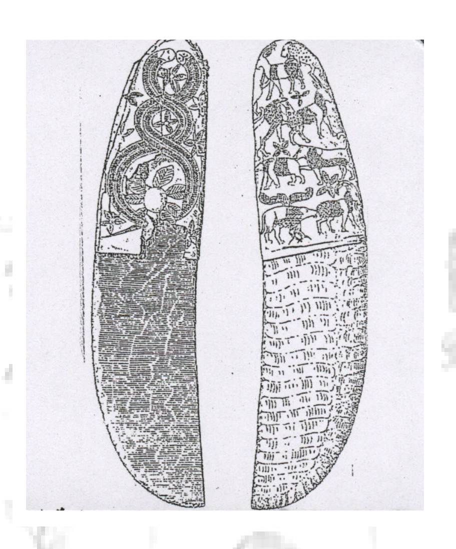
ومنها مشط مصنوع من العاج (شكل 20)



(شكل 20) مشط من العاج (حضارة نقادة الثانية)

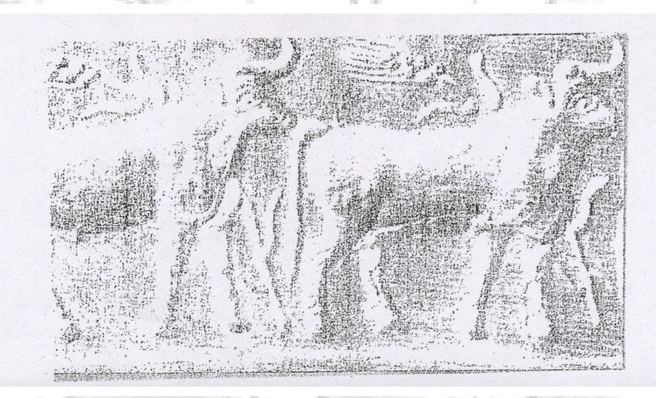
وعثر على يد سكين مصنوعة من العاج ترجع إلى عصر ما قبل الأسرات الأخير، وكانت هذه اليد مغطاة بشرائح ذهبية، ولها نصل مصـنوع مـن حجـر الصوان، وقد رسم على أحد وجهيها العديد من الرسوم الحيوانية التي صـورها الفنان وهي تتجول بحرية شديدة، وقد زينت أجسادها، كما لو كانت ترتدى على ظهورها أكسية مزخرفة، أما الوجه الآخر، فقد زين بثعبانين ملتفي الجسـدين، وقد رسم الفنان زينات نباتية ملأ بها الفراغ الذي كونه التفاف الثعبانين (شـكل 21)





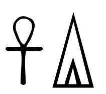
(شكل 21) سكين مصنوع من العاج (عصر ما قبل الأسرات الأخير)

وعبرت النقوش والرسوم الفنية في العراق القديم عن العديد من أنواع الحيوانات حيث سجلت الأختام الأسطوانية التي ترجع إلى عصر حضارة الوركاء العديد من أنواع الحيوانات التي رسمت في صفوف متعاقبة أو في صف واحد، ويلاحظ أن الفنان قد رسمها بدقة وعناية فائقتين، وحرص على إظهار تفاصيل الحيوانات بدقة شديدة حتى ليخيل للمرء أنها صورة فوتوغرافية مأخوذة لهذه الحيوانات (شكل 22)



(شكل 22) منظر الحيوانات من حضارة الوركاء

وصورت بعض أنواع الحيوانات الأليفة التي تحيط بمنزل مصنوع من البوص والأغصان على إناء مصنوع من المرمر يرجع إلى النصف الثاني من

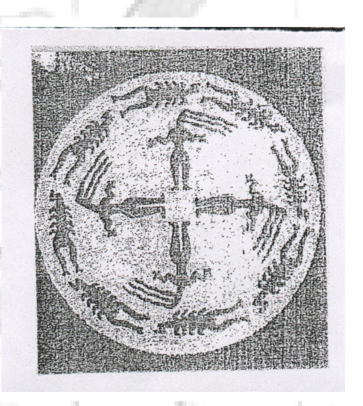


الألف الرابع قبل الميلاد (شكل 23) وأهمية هذا المنظر أنه يقــدم لنـــا صـــورة حقيقية لشكل المنزل المبكر في العراق القديم وذلك قبل استخدام الطوب اللبن في البناء.



(شكل 23) منظر لحيوانات تحيط بمنزل بدائي

ومن المناظر التي قد يبدو لها بعض الدلالة، منظر مصـــور علـــى آنيـــة فخارية ترجع إلى العصر الحجري الحديث حوالي الألف السادس قبل الميلاد، وقد رسم عليها أربعة من النسوة يتتميزن بشعورهن الطويلة، وقد رسم كل زوجـــين متقابلين، وقد أحاط بهن ثمانية عقارب، بحيث يقابل كل امراة عقربـــان (شـــكل 24)



(شكل 24) رسوم آنية فخارية (العصر الحجري الحديث)

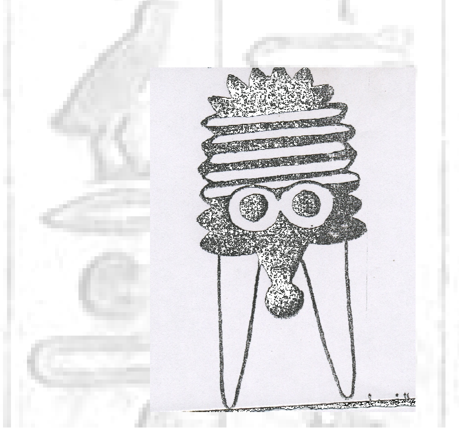
ووصلنا من حضارة الوركاء نقوش في غاية الأهمية صورت على إنـــاء نزري، وقد مثلت المناظر طابورًا طويلاً من حملة الهدايا، وهم رجال عراة، وفي النصف الأسفل صور طابور من الحيوانات تمشي على امتداد أرض خصبة، وقد

ظهر على جانبي النهر حقول القمح، أما الصف العلوي، فلقد صور عليه بعض المناظر الدينية والخاصة بتقديم هدايا إلى المعبد.

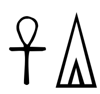


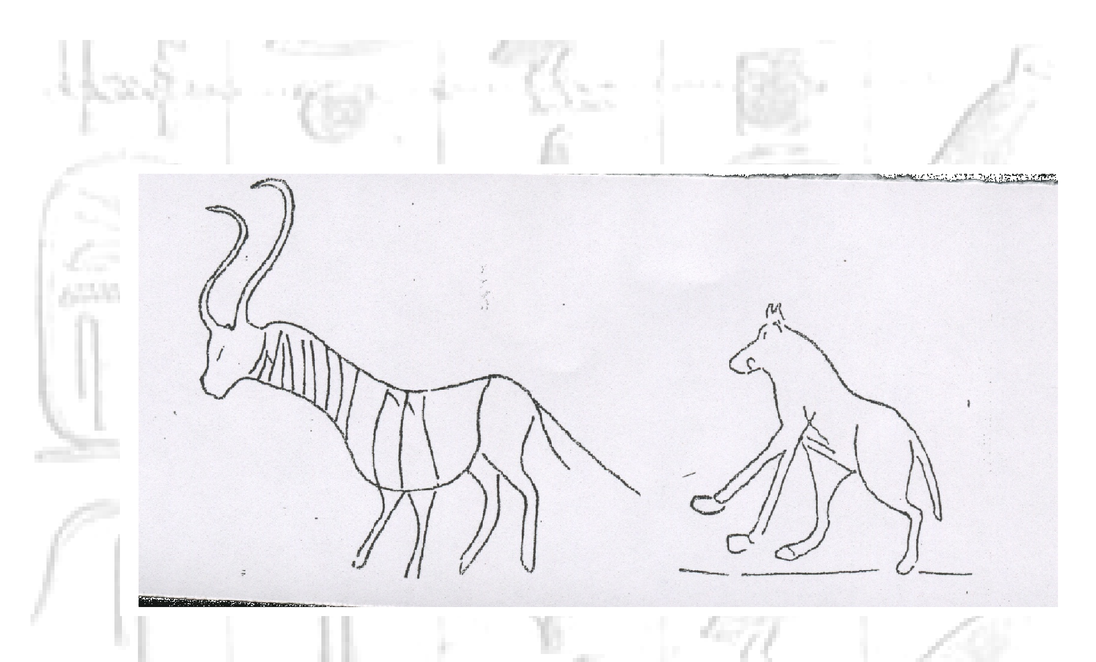
(شكل 25) نقوش الأناء النزري (حضارة الوركاء)

وظهر الفن من أجل الفن على العديد من الرسوم الجدارية في فلسطين، حيث صور منظر لرأس فيل وذلك على جدار في تل الغسول في فلسطين وذلك قبل عام 3500 ق. م. (شكل 26) كما نحتت مناظر لبعض الحيوانات على المدخل الحجري لمقصورة في مدينة مجدو. تؤرخ بحوالي عام 3200 ق.م (شكل 27).



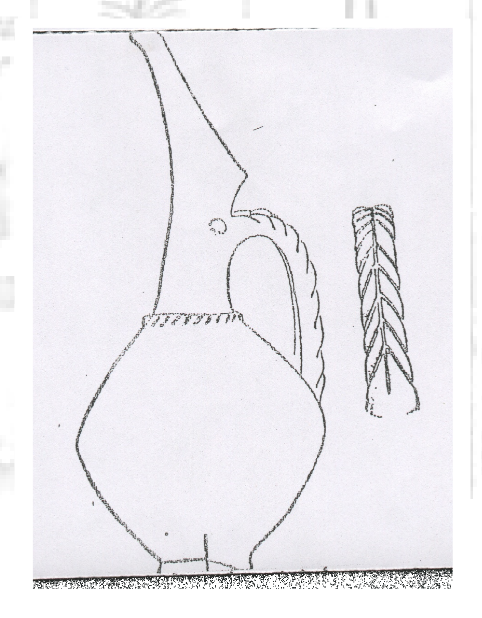
(شكل 26) منظر لفيل من تل الغسول



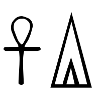


(شكل 27) منظر من مجدو

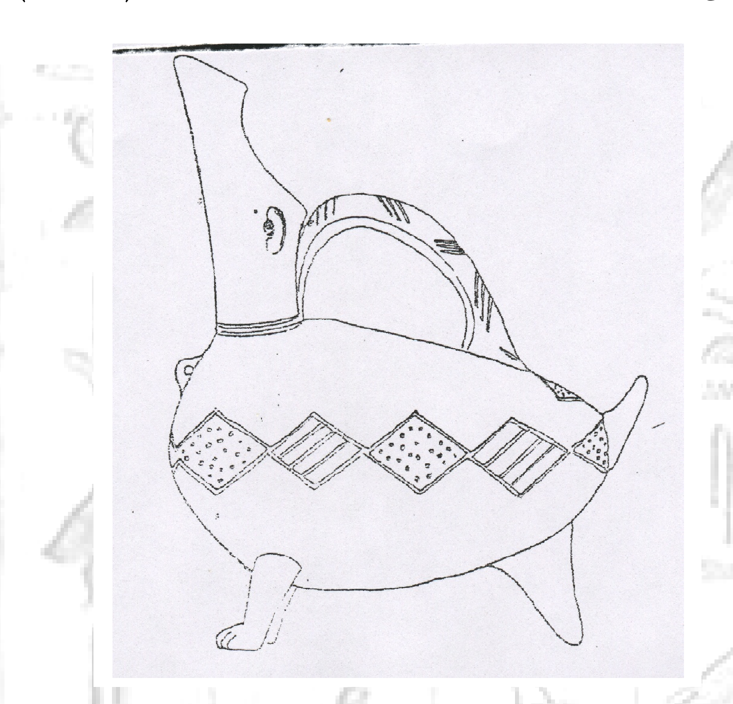
وظهر الفن من أجل الفن في آسيا الصغري في العديد من النماذج الفنية، ومنها تشكيل الأواني الفخارية، حيث شكلت آنية فخارية جعل صنبورها على هيئة رأس طائر، بينما شكل مقبضها علي هيئة سنابل القمح (شكل 28)، بينما صنع آنية.



(شكل 28) آنية فخارية من آسيا الصغرى

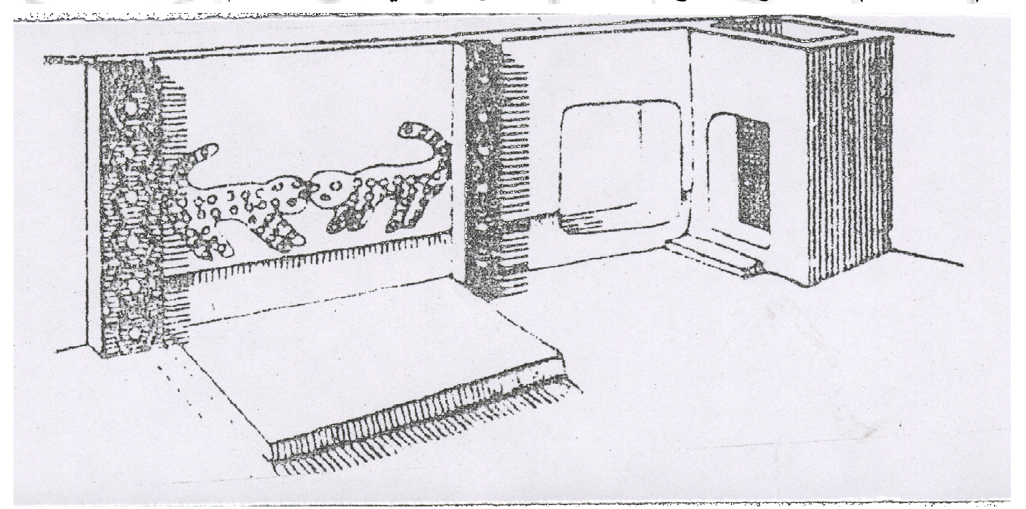


أخرى على هيئة طائر وقد زين جسده بأشكال هندسية (شكل29)

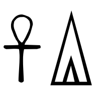


(شكل29) آنية فخارية من آسيا الصغرى على هيئة طائر

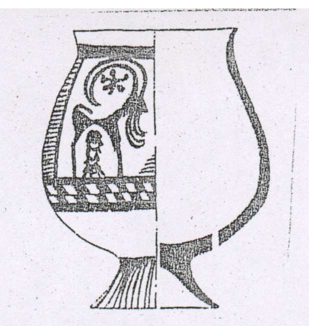
ولقد زين مدخل أحد المعابد في آسيا الصغرى والذي يطلق عليه "معبد الفهود" بمنظرين لفهدين متقابلين، وربما كان ذلك سبب إطلاق هذه التسمية عليه (شكل 30) ويرجع تاريخ هذا المعبد إلى حوالي 5900 ق.م.



(شكل 30) مدخل معبد الفهود في آسيا الصغرى

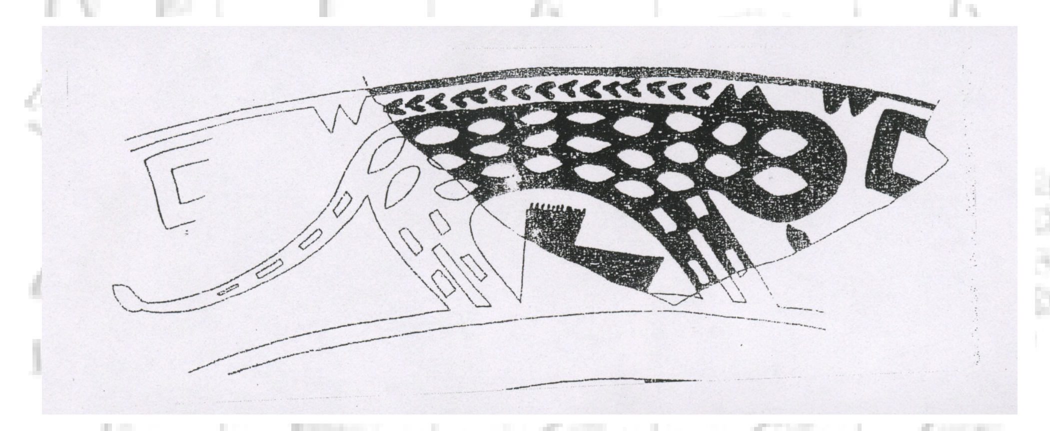


وعبر الإنسان في إيران عن نفسه في رسمه للحيوانات بأشكال جمالية ظهرت على أسطح الأواني الفخارية، ومن هذه النقوش، نقوش الحيوانات وقد استطالت قرونها (شكل 31) وقد عثر على هذه الآنية في تبة حسار حوالي عام 3500 ق.م.



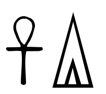
(شكل 31) آنية فخارية عليها رسم لحيوان ذي قرون طويلة

كما صورت على الأواني أشكال النمور والفهود في أشكال جمالية، حيث عثر علي العديد من الأواني في تل باكون، وقد زينت بأشكال جمالية لنمور مرقطة. (شكل 32)



(شكل 32) آنية فخارية عليها رسم جمالي لنمر

وفي الفترة السابقة للعصور التاريخية، اتجه الفنان في منطقة الشرق الأدنى القديم إلى رسم الحيوانات وقد تشابكت رقابها أو ذيولها، كما قام برسم



الحيوانات المركبة، وظهر ذلك في العديد من المناطق؛ ففي مصر، ظهــر علــى لوحة منقوشة على حجر الشيست ترجع إلى مرحلة نقادة الثالثة وعثر عليها في نخن حيوانان مركبان، حيث كان الجسد جسد أسد ورقبة ثعبــان ورأس لبــؤة، شكل (33)، ويلاحظ أن هذا الشكل هو الذي ظهر بعد ذلك علــى لوحــة الملــك "نعرمر" (شكل 34) عند بداية الأسرة الأولى في مصر القديمــة، حيــث رســم حيوانين ملتفي الأعناق، وقد مزجا بين جسد الأسد وعنق الأفعى ورأس اللبــؤة، وظهر رجلان يمسك كل منهما برقبة أحد الحيوانين بواسطة حبل.



(شكل 33) لوحة من الشيشت عثر عليها في نخن



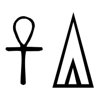
(شكل 34) جزء من لوحة الملك نومر

وظهر هذا الأمر في العراق القديم بشكل متكرر، وإن زاد عليه في بعض الحالات أنه بالإضافة إلى الرقاب المتشابكة، تشابكت أيضاً الذيول. (شكل 35)



(شكل 35) طبعة ختم من العراق القديم

وظهر هذا الطراز الفني أيضاً في إيران، حيث ظهرت على العديد من طبعات الأختام التي وصلتنا من عصر حضارة سوسة الأولى، صور الحيوانات



المركبة والتي التفت رقابها حول بعضها وأيضًا ذيولها، كما ظهر على ختم آخر من نفس المرحلة صورة أسدين يهاجم كل منهما غزالاً وقد التفت ذيولهما حول بعضهما من الخلف. (شكل 36).



(شكل 36) طبعة ختم من إيران

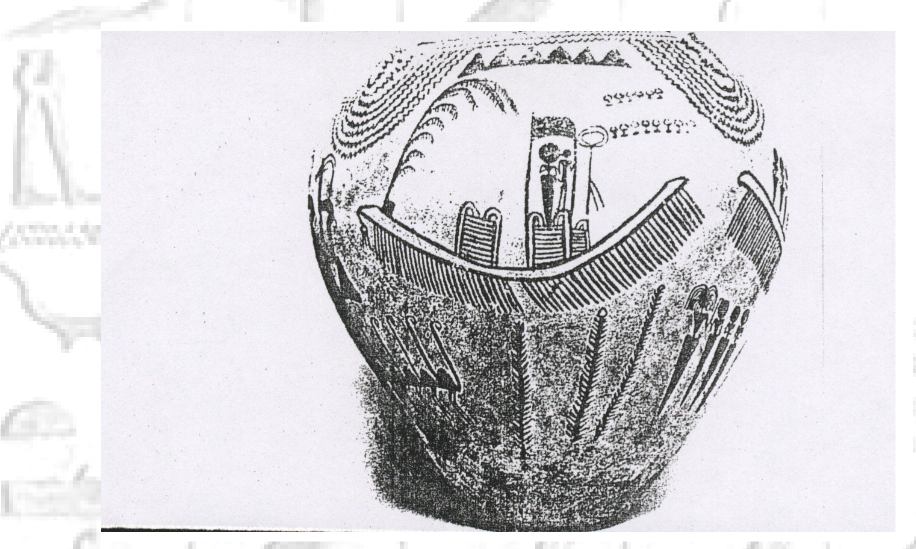
وعبر الفن في مرحلة عصور ما قبـل الأسـرات عـن مظـاهر الحيـاة الاقتصادية، ووسائل النقل والمواصلات، حيث أمكن للباحثين معرفة الكثير مـن هذه المظاهر من الرسوم والنقوش التي عثر عليهـا علـى الأوانـي الفخاريـة والحجرية والأختام والرسوم الجدارية وغيرها.

فمن عصر حضارة نقاده الثانية في مصر وصلنا الكثير من نقوش ورسوم الأواني الفخارية التي عبرت عن العديد من أوجه الحياة الاقتصـادية، ومنهـا، زيادة تصوير المراكب على الأواني الفخارية، مما يشير إلى زيادة حاجتهم إليها وكثرة استخدامهم لها سواءً لأغراض الانتقال من منطقة لأخرى، أو نقل البضائع والمنتجات على طول امتداد نهر النيل وفروعه.

وزودت المراكب بقمرتين مصـنوعتين مـن سـيقان الغـاب والنباتـات المجدولة وكانت أسقفها إما مسطحة، أونصف دائرية، وبرزت فـوق سـطوحها العليا أحياناً أطراف عيدان البوص المتداخلة في بناء جدارنها، وتميزت مراكـب نقاده الثانية بوجود صار طويل خلف القمرة الخلفية يرتفع على قمته رمز صغير

يمثل حيواناً أو نباتاً أو طائراً أو إنساناً أو أشكالاً هندسية محـــددة، أو علامـــات غير محددة، ويرجح أن هذه الرموز تشير إما إلى صاحب المركـــب أو بلـــده أو معبوده، وصور على جانب كل مركب خطوطاً مائلة كثيـــرة زادت أحيانـــاً عـــن الأربعين خطاً، رأى البعض أنها تمثل المجاديف التي كانت تستخدم في الإبحـــار، وأن كثرة عددها يدل على أنها كانت تستخدم للملاحة في البحر الأحمر.

ويوضح الشكل رقم (37) أحد المراكب التي كانت أسقف قمراتها نصـــف دائرية، وقد ظهر في أعلى المنظر، شكل تلال متتالية، مما يشـــير إلـــى طبيعـــة المنطقة المحيطة بالوسط المائي الذي تسير فيه المركب، بينما ظهر أسفلها على أحد الجوانب مناظر لأشكال إنسانية تمثل نسوة يؤدين بعض الرقصـــات، وعلـــى الجانب الآخر ظهرت بعض الطيور المائية ذات الرقاب الطويلـــة، وهـــي تشـــبه طيور النعام أو البشروش، ولقد صورت في وضـــع الوقـــوف دون الحركـــة أو الطيران.



(شكل 37) مركب قمراتها نصف دائرية

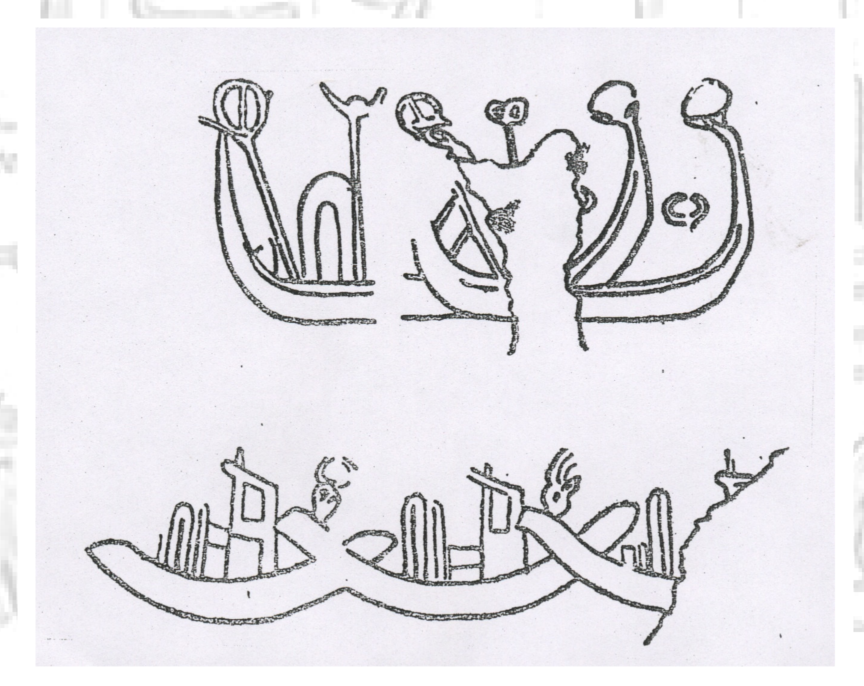
واستخدمت المراكب أيضًا لنقل الحيوانات، وبخاصة صغيرة الحجم منهـــا، حيث صور على بعضها مناظر لماعز (شكل 38) وذلك بالإضافة إلى ما تحملـــه من منتجات وبضائع وبشر.

☥ 𓉴

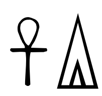


(شكل 38) مراكب تحمل حيوانات وبضائع

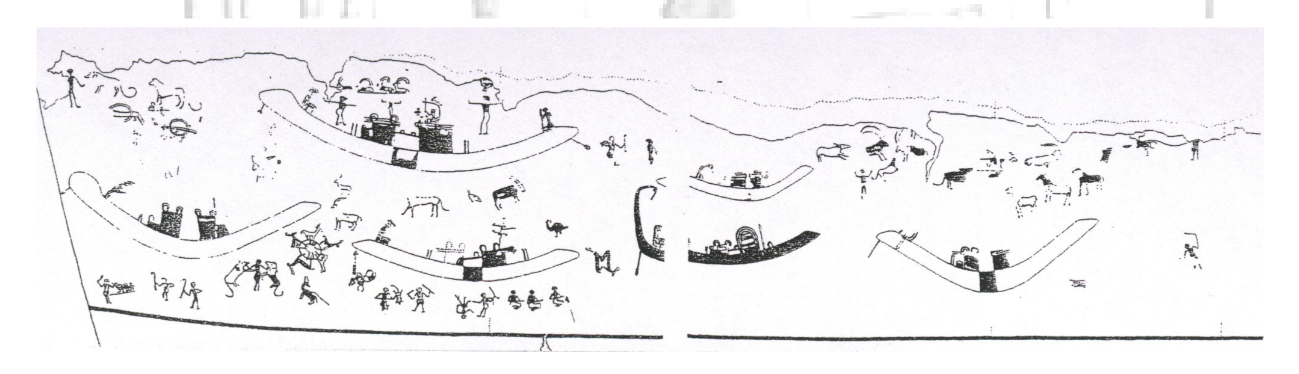
وصورت على سكين جبل العركي (شكل 39) ثلاثة مراكب علـــى الطـــراز المصري المعتاد الذي صورت به المراكب خلال هذه المرحلـــة علـــى الأوانـــي الفخارية، وتعاقبت هذه المراكب خلف بعضها، ولكن الجديد هنـــا هـــو تـــداخل أطرافها مع بعض، وميزت كل مركب برمز على هيئة رأس الثـــور مثبـــت فـــي مقدمتها، وظهر في المناظر منظر مركبين في صف مستقل علـــى طـــراز آخـــر مختلف، ارتفعت فيه مقدمة المركب ومؤخرتها ارتفاعًا كبيرًا.



(شكل 39) مناظر لمراكب على سكين جبل العركي

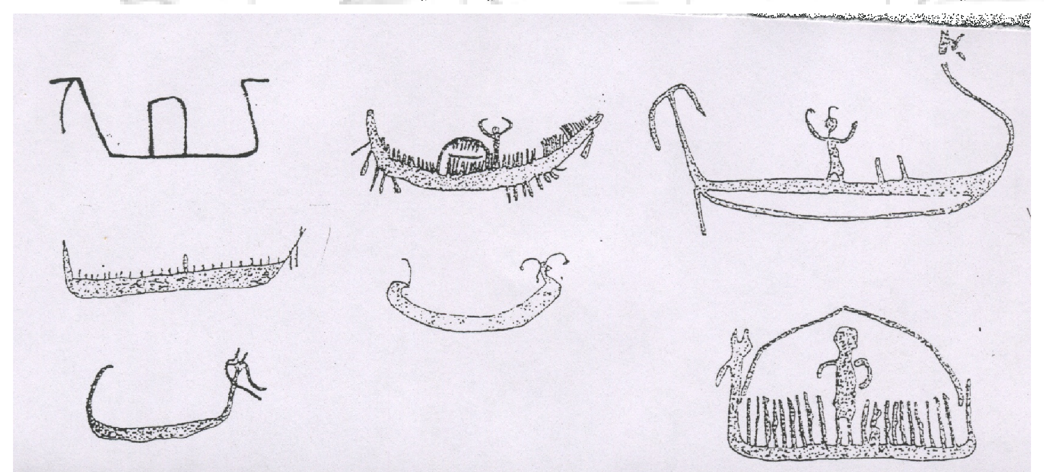


ومن بين المناظر التي احتوتها رسوم "نخن" شكل (40) منظر للملاحة يتكون من ستة مراكب؛ خمسة منها على الطراز المعروف المعتاد الذي ظهر في رسوم الأوانى وسكين جبل العركي، أما المركب السادسة، فقد ارتفعت مقدمتها ارتفاعًا كبيرًا ويلاحظ هنا أن الفنان قد تمكن من تصوير تفاصيل ورموز المراكب، وكان لكل مركب من الخمس قمرتان رئيسيتان وقمرة أو قمرتان صغيرتان ملحقتان بهما، أما المركب السادسة، ذات المقدمة المرتفعة، فكان لها مقصورة واحدة فقط مقبية السقف.



(شكل (40) مراكب من نخب

وظهرت هذه المراكب ذات المقدمة والمؤخرة المرتفعة أيضًا في صحراء مصر الشرقية وبخاصة في منطقة أرمنت (شكل 41)، وهى تشبه إلى حد كبير السفن التي سبق ذكرها على سكين جبل العركي وفي نخن.



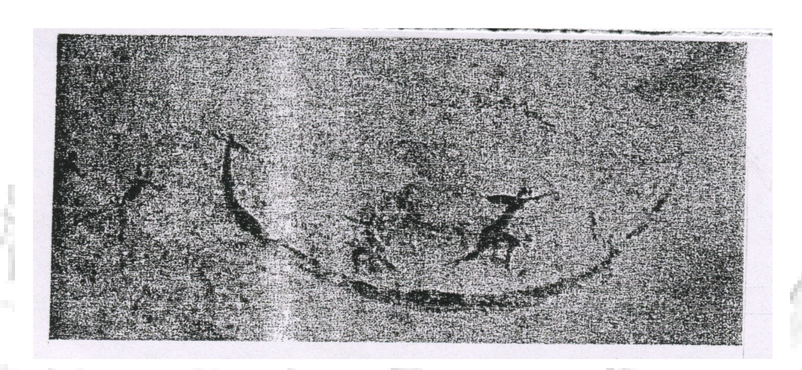
(شكل 41) مناظر لمراكب في صحراء مصر الشرقية

وقد ثار جدل كبير بين العلماء حول طبيعة هذه المراكب، فــرأى الــبعض أنها مراكب مصرية كانت تستخدم للإبحار في البحار، بينما رأى البعض الآخــر أنها تشبه المراكب العراقية التي صورت على المنــاظر منــذ عصــر حضــارة الوركاء، حيث ظهر على طبعة ختم يرجع إلى هذه المرحلة (شــكل 42) منظــر لمركب له نفس سمات المراكب السابقة، وهو يتميز بمقدمته ومؤخرته المرتفعة، وظهر فيه شخصان يقومان بقيادته، وصور شخص بحجم كبير في الوسط، وكان من بين حمولة المركب حمار يحمل فوق ظهره أمتعة شدت إليه، ويرى أصحاب هذا الرأي، أن هذا التشابه الشديد بين المراكب، واستمرار تصويرها بهذا الشكل خلال المراحل التاريخية في العراق القديم، وندرة تصويرها على الآثار المصرية، أن في ذلك ما يؤيد أن المصري القديم قد استعار فكــرة تصــويرها مــن الفــن العراقي خلال هذه المرحلة من تاريخ الإنسان، أو أنها تمثل مراكب عراقية كانت تبحر في البحر الأحمر وذلك عن طريق الخليج العربي فباب المندب.



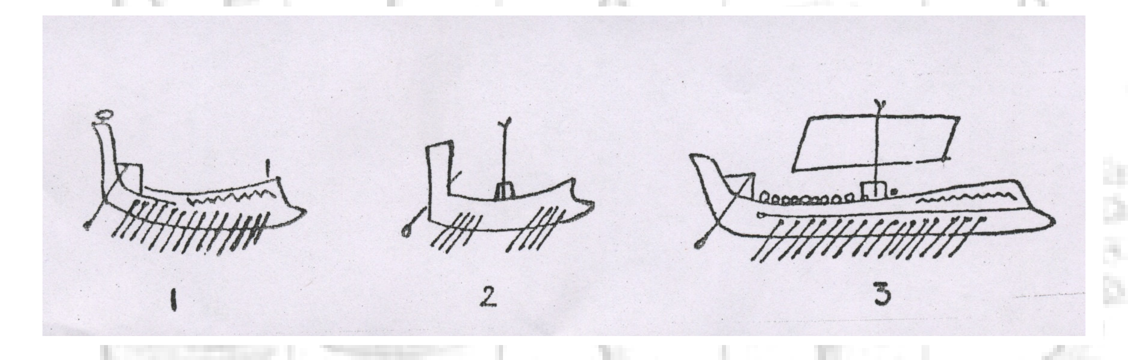
(شكل 42) منظر لمركب عراقي من حضارة الوركاء

وكشفت نقوش جبل الأكاكوس في جنوب غرب ليبيا عن مناظر لمراكــب ذات قمة ومؤخرة مرتفعة (شكل 43) وهى تشبه إلى حد كبير المراكب المصورة في صحراء مصر الشرقية.



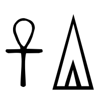
(شكل 43) منظر لمركب في جبل الأكاكوس

ومن الأمور الجديرة بالاعتبار في هذا المجال، ملاحظة أن أشكال المراكب التي صورت في منطقة آسيا الصغري، كانت تتميز بمقدمتها المرتفعة، حيث يوضح (شكل 44) ثلاثة مراكب لكل منها العديد من المجاديف، كما أنها زودت بقمرات، وكانت مقدمة المراكب مرتفعة، بينما نهايتها مسطحة، وقد ظهر على المركب الثالثة ما يشير إلى تحميلها بالعديد من البضائع، ويلاحظ أن شكل هذه المراكب يتشابه بشكل كبير مع شكل المركب التي صورت على جدران مقبرة نخن.



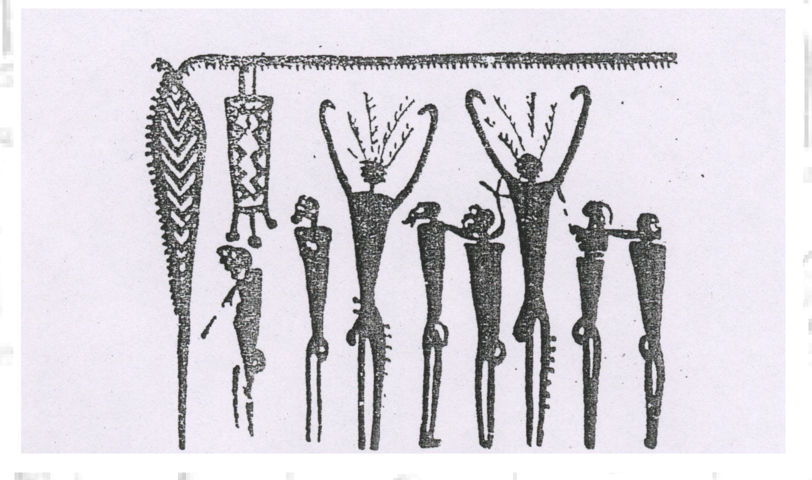
(شكل 44) مناظر لمراكب من آسيا الصغري

وعبر أيضًا فن النقش والرسم خلال العصور الحجرية وما قبل الأسرات عن بعض الاحتفالات الطقسية التي كانت تجري خلال هذه المرحلة الطويلة من تاريخ الإنسان، ومن هذه الطقوس التي كان يتم الاحتفال بها في الشرق القديم



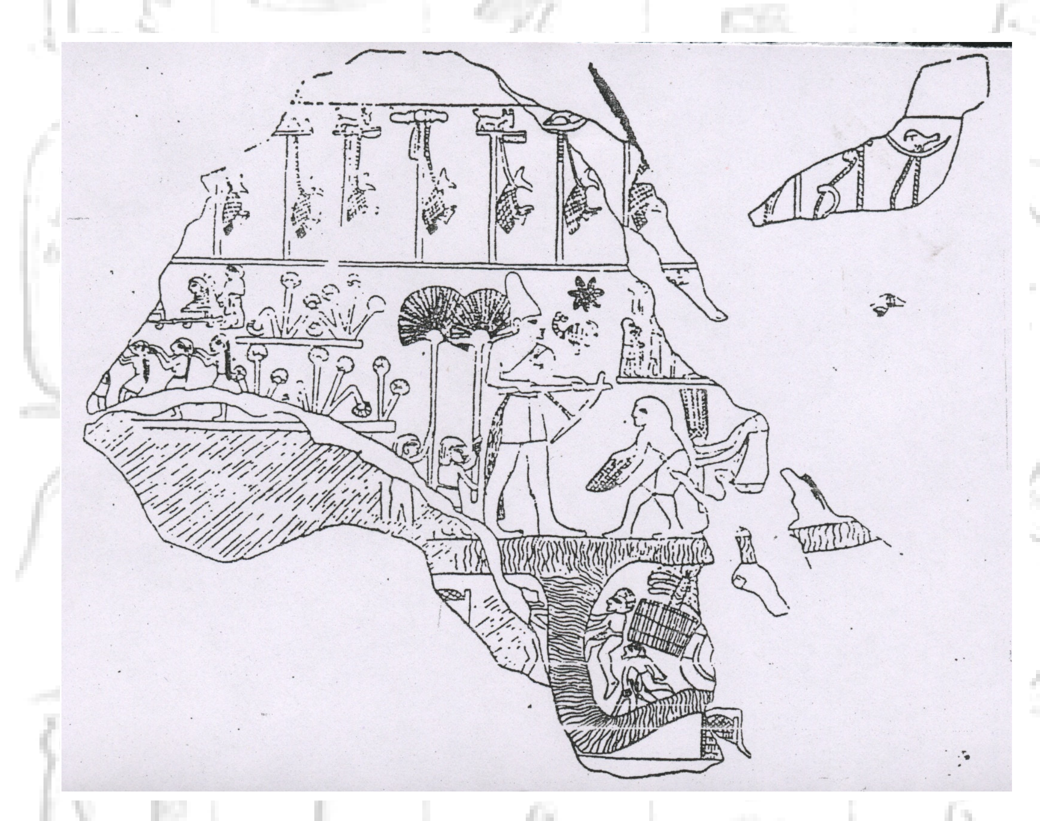
"طقوس الرقص" حيث عبر الإنسان بواسطته عن العديد من احتفالاته الدنيوية وكذلك الدينية.

ومن هذه الرسوم التي وصلتنا من مصر، نقوش آنية فخارية ترجع إلى عصر حضارة نقادة الأولى (شكل 45)، وقد رسم عليها ثمانية أشخاص يقومون برقص مقدس قد يتصل بالاحتفال بحصاد القمح، حيث رسمت سنبلة قمح أمام الراقصين، كما رسم على رأس الشخصين البارزين منهما ما يشير إلى سنابل القمح.



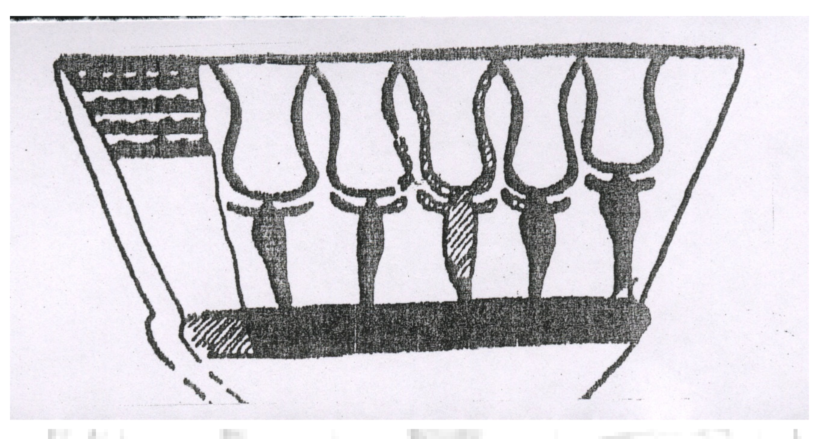
(شكل 45) مناظر لراقصين من نقادة الأولى

وتكررت هذه الاحتفالات بعد ذلك عند قبيل بداية الأسرة الأولى أو ما يعرف بالأسرة (صفر) وذلك في نقوش رأس مقمعة الملك "عقرب"، حيث صورت نباتات القمح النامية، وصف من الناس يقومون بالرقص (شكل 46)



(شكل 46) جزء من نقوش مقمعة الملك "عقرب"

وعثر على نقش في سورية موجود على آنية فخارية عثر عليها في قرقميش (شكل 47) يرجع إلى عصر الحجر والنحاس، وقد مثل عليه صف من الراقصين يبلغ عددهم خمسة، وقد ميز الشخص الذي في الوسط بأن ظلل جسده بخطوط.



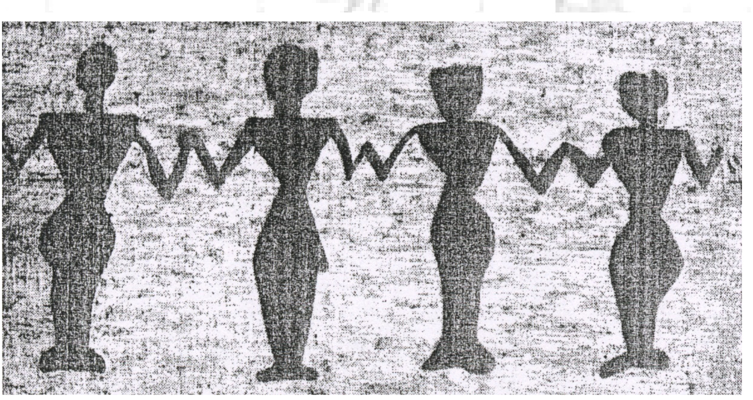
(شكل 47) مناظر لراقصين على آنية فخارية (قرقميش)

وسجل على جدران معبد الصيد في جطل هيوق بآسيا الصغرى مشرق رقص طقسي (شكل 48) وقد ظهر فيه بعض الأشخاص وهم يرتدون جلود الفهود، مما يرجح أن هذا الرقص الطقسي يتصل بعملية صيد الحيوانات البرية، ويلاحظ في هذا المنظر عدم انتظام حركات الراقصين، وكذلك الحركات العنيفة التي يقومون بها، كما أن بعضهم يحمل في يده أشكالاً رمزية لأدوات القتال.



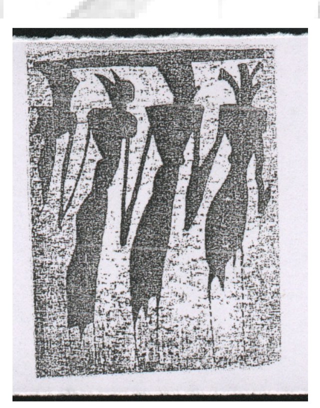
(شكل 48) منظر لرقص مقدس في آسيا الصغرى

وظهر على فخار سامراء في العراق القديم بعض المناظر التي تعبر عـــن طقوس الرقص، فظهر على أحد الأواني الفخارية (شكل 49) أربعة أشكال بشرية متشابكة الأيدي، وقد رسم الأشخاص من الأمام، وحركة الأقدام متساوية.



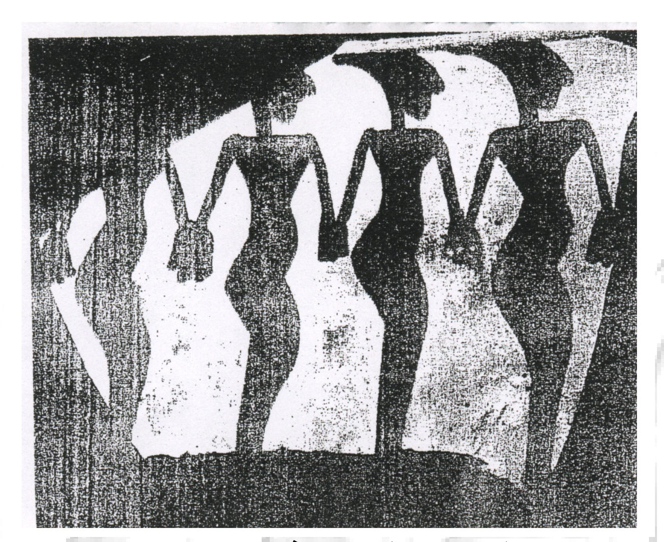
(شكل 49) آنية فخارية من سامراء

ورسم على آنية أخرى (شكل 50) أربعة أشكال بشرية متشابكة الأيـــدي تقوم بالرقص، ويلاحظ أن غطاء الرأس يختلف من شخص لآخر.



(شكل 50) منظر لراقصين من سامراء

وقريبًا من هذه الأشكال، رسم ملون على قطعة فخارية من إيـــران ظهـــر فيه فتيات متشابكات الأيدي يقمن بأداء رقصة مقدسة، وقد أبدع الفنان في إبراز مظاهر أنوثتهم (شكل 51) وحتى يتمكن من إبراز معالم الجسد كاملة، فقد رســـم الأكتاف من الأمام، بينما بقية الجسد من الجانب.



(شكل 51) رسم فخاري من إيران

وعند نهاية عصور ما قبل الأسرات وبداية العصور التاريخية، قام الفن بالتعبير عن طبيعة الأحوال السياسية خلال هذه المرحلة الهامة من تاريخ الإنسانية وغلب على هذه الموضوعات الصراع من أجل السيطرة والنفوذ، وهو ما انعكس على طبيعة هذه الرسوم.

ففي مصر، عبر الفن بشكل كبير عن الصراع الذي كان يجري في وادي النيل من أجل توحيد المقاطعات والمدن لتصبح مصر بلدًا موحدًا، ومن هذه اللوحات (شكل 52)، وهي لوحة مصنوعة من حجر الشيست وترجع إلى عصر حضارة نقادة الثالثة، ولقد تحطم جزء كبير من اللوحة، ويظهر في الجزء المتبقي منها أسرى مقيدين إلى علم يحمل رمز المعبود حور، وفي وسطها أسد يطأ بقدمية رجلاً منبطحاً على الأرض وهو يصرخ من شدة الألم، ويرمز الأسد هنا إلى الحاكم، بينما يوجد خلف الأسد رجل يفر مذعورًا من ميدان القتال، ولقد امتلأ ميدان المعركة بأجساد القتلى التي أخذت الطيور الجارحة في نهشها، ومما لا شك فيه أن هذا المنظر يعبر عن مراحل الصراع التي خاضها حكام مصر في أثناء توحيد البلاد.

☥𓉴



(شكل 52) لوحة المعركة (نقادة الثالثة)

ومن هذه اللوحات أيضًا ما يعرف باسم "صلاية الفحل" (شكل 53) والجزء المتبقي منها يظهر في قمته فحل يهجم بقرنيه على عدوه فألقاه على وجهه وضغط بحافره على فخذه ليمنعه من الحركة، ويرمز الفحل هنا إلى الملك مثلما شبه بالأسد، ويستدل من هيئة الرجل أنه كان من حواف الدلتا.



(شكل 53) صلاية الفحل

ومن اللوحات الهامة التي جمعت بين الفن في عصور ما قبل الأسرات والفن خلال العصور التاريخية اللوحة التي تعرف باسم "صلابة الحصون والغنائم" وهي منقوشة على وجهيها، فقد صور على أحد وجهيها سبعة حصون مسورة يعلو كل منها رمز مقدس يعمل الهدم فيها بمعول، كأنه يقوم بفتح الحصن أو هدمه، وظهر داخل كل حصن رمز يعبر عن اسمه (شكل 54)



(شكل 54) وجه لوحة الحصون

وصور الفنان على الوجه الآخر للصلاية (شكل 55) غنائم الحرب، التي تتكون من الثيران والحمير والكباش، وصور في الصف السفلي أشجار كتب بجانبها علامة تصويرية تعتبر من أقدم العلامات الكتابية التي تدل على كلمة "تحنو" بمعنى "أرض ليبيا" أو "الأراضي المجاورة لحدود الدلتا".



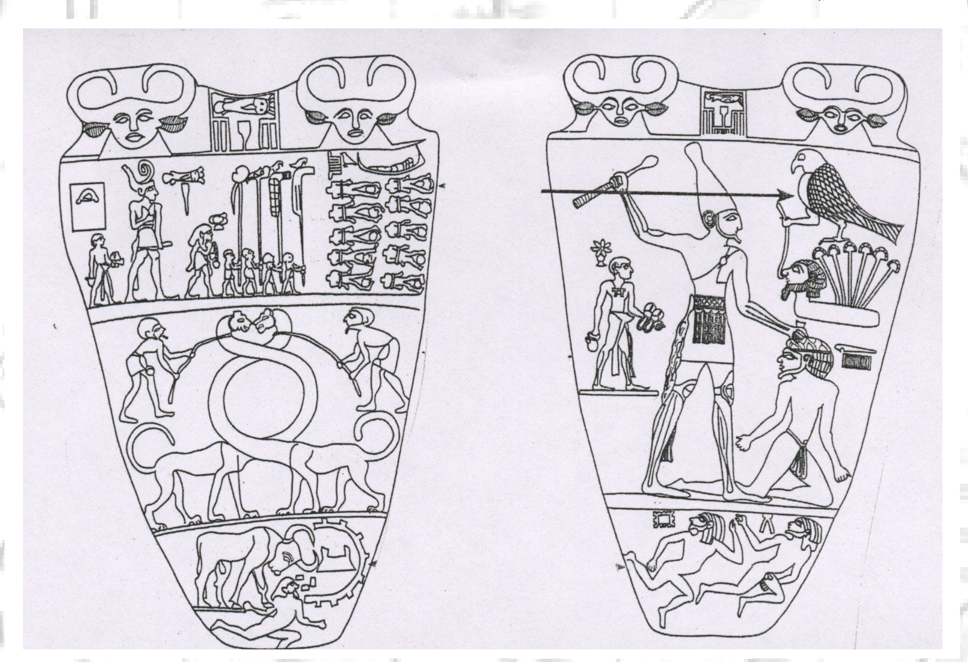
(شكل 55) الوجه الآخر للوحة الحصون

ويرجح نسبة هذه اللوحة للملك "عقرب" الذي صور رمزه بين الرموز المصورة فوق الحصون، ومما قد يؤكد ذلك، أن هذه اللوحة قد جمعت بين تقاليد الرسم والنقش خلال عصور ما قبل الأسرات والعصور التاريخية، حيث أخذت من الأسلوب القديم تصوير الأسد في حالة غضب ناصبًا ذيله فوق مؤخرة ظهره، وتصوير الصقور مائلة إلى الأمام بذيول أفقية، وتصوير الأشجار في صفين بغير فاصل بينهما، بيما أخذت من العصور التاريخية، تصوير حيوانات الغنائم في صفوف مرتبة، يعلو كل منها الآخر، ويفصل بينهما خط أفقي يمثل خط الأرضية، كما صورت العلامة الكتابية التي تعني "أرض التحنو".

ومن أكمل اللوحات التي وصلتنا من مصر وتعبر عن بداية العصور التاريخية، صلاية الملك "نعرمر" (شكل 56) التي عثر عليها في معبد "نخن"، وسجل اسم الملك في أعلاها، وصور على وجهها الملك وهو يرتدي تاج الجنوب، وهو يهم بضرب عدو راكع أمامه بالمقمعة، بينما صور المعبود "حور"

أمامه وهو يقدم له رأس أسير يبرز من الأحراس وقد ربط من أنفه بحبل، وفي أسفل المنظر يظهر رجلان وهما يفران عرايا، أما الوجه الآخر من اللوحة، فقد صور فيه الملك وهو يرتدي تاج الشمال الأحمر وأمامه صف من الألوية، وهو يقوم باستعراض جثث القتلى الذين وضعت رؤوسهم بين أقدامهم، وظهر في وسط المنظر حيوانان مركبان، أما الصف السفلي، فقد رسم ثور يرمز للملك وهو يقوم بفتح حصن مدينة بقرينه ويدوس بقدمه على يد رجل يصرخ بشدة من الألم، وذلك للإشارة إلى تحكمه وسيطرته عليه.

وعلى ذلك، فإنه يتضح لنا أن الفن قد عبر عن طبيعة الأحوال البيئية والاقتصادية والسياسية في العصور الحجرية وما قبل الأسرات، وأنه يعتبر المصدر الرئيسي للباحثين خلال هذه المرحلة الهامة من تاريخ الإنسانية.



(شكل 56) صلاية الملك نعرمر